



(62) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
(64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَنُفْسِكُ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ  
(65) ﴿الحج﴾ ويبدأ بهذه الأسماء عددٌ من سور القرآن، بل إننا لا نبدأ التلاوة إلا بذكر ثلاثة منها: فنبداً بِ(بسم الله الرحمن الرحيم).

هيا ننعيم بظلالها..

إن الناظر في معاني أسماء الله الحسنی يجدها كلها في مصلحة العباد؛ فالرحمن والكریم والبَرّ والتَّوَاب والصبور.. كل ظلال هذه الأسماء ومعانيها إنما هي لعباده سبحانه..

- فالمحتاج يدعو الكريم الوهاب.

- والمذنب يرجو التواب الرحيم الغفور.

- والخائف يناجي المؤمن اللطيف.

- والمظلوم يعتصم بالمنعم القوي المتين.

فما من شدة تمرُّ بالعبد إلا ولها ما يكشفها من أسماء الله الحسنی وصفاته العليا، واختلاف معانيها إنما هو لاختلاف أحوال العبد وتقلُّب أمره في الدنيا بين الخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، وإذا لم يعرف العبد الاسم المناسب لحالته؛ عمل بوصية النبي صلى الله عليه وسلم: "أَلَطُوا (أَلْحُوا) بِيَاذَا الْجَلال والإكرام" (رواه الترمذي).

- فكم من آمال حققها لنا..

- وكم من مخاوف أمننا منها!..

- وكم من شرور وأمراض دفعها عنا!.. ﴿قِيلَ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)﴾ (الجاثية).

من أولى من الله أن نرفع الصوت بتسبيحه؟!.. إنه الله الذي سيج له مافي السموت والأرض.

من أولى من الله أن ننفق في سبيله؟!.. إنه مانح المال في الحياة ووارثه مع فناء الكون كله..

من الذي يلجأ إليه الحائر، ويستهدي به النائه؟!.. إنه العفو الهادي..

من الذي يُنقَى له القلب وتخلص له النية؟!.. إنه العليم بذات الصدور..

تقدير المعرفة محال

بحالٍ أن تفهي الله حقه طاعةً وعبادةً؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا أحد يدخل الجنة بعمله! قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته"، والذي يقول هذا هو سيد ولد آدم، وأول شافع ومشفع، وخير من عبَد وسجَد، وصاحب لواء الحمد، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وصاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى للبشرية كلها، فما نقول نحن؟! وصدق الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: من الآية 91).

بل محالٌ أيضًا أن نحيط به سبحانه معرفةً.. قد نعلم صفات الله عزوجل، أو نحيط بشيء منها علمًا، ونشعر بمدلولها أحيانًا.. ولكننا لا نستطيع أن نعيش وتدرك مدلولات صفة واحدة من صفاته، فنأتي بحدودها، ونعرف مراميها؛ إذ كيف تدرك الصنعة صانعها؟!..

فكل ذرة في الكون تتحرك بأمر ومقدار، وكل هبة ربح لها مسار محدود، وتُحرَّك من الكائنات على البرّ أو في البحر ما قَدَّر لها.. كل كائن في البحر مساره محسوب ومعلوم، كذلك كل كائن في الجوّ أو على الأرض.. كل ما يقع في ظلمات الأرض أو رُحَب السموات أو في بواطن الجبال، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَبَّأَهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: من الآية 59).

فهل علم الله بسقوط ورقة يقف عند العلم بوقت سقوطها ومكان استقرارها؟! أم أن إحاطة الله بها تشمل حالها قبل استنبت شجرتها، وحالها قبل وبعد خروجها حتى سقوطها، وكيف سقطت، وبأي ربح، وأين استقرت، وما مصيرها بعد ذلك.. وهل سيأكلها إنسان أم حيوان أم حشرة، أم ستصبح هشيماً بعد رحلة لاصحها بها إلا خالقها؟!..

إن الواحد منا يأكل الرغيف ولا يدري من أي الأراضي تجمّع، وقد تعاونت فجاج الأرض وآفاق السماء حتى يصل إليه.. إن أحد الصالحين- وهو يأكل- أمسك بحبة أرز وقال لها: سبحان مَنْ يعلم مِنْ أي أرض أتيت! سبحان مَنْ يعلم مِنْ أي ماء شربت! سبحان مَنْ يعلم في أي مكان من جسدي تستقرّين!..

لذلك علمه سبحانه بكل ما يتغير ويستجدُّ ويحدث في أجساد العباد.. سبحانه ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)﴾ (الرحمن) فهل نستطيع أن نحدد أبعاد ومدلولات اسم الله "العليم"؟!..!! إن ما نعلمه من هذه الصفة لا يساوي فيما نهله شيئًا.. ومن رحمته بنا قال: ﴿قَاتِلُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: من الآية 16).

العاطفة تفتح أسرارًا

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ألهم الحمد والثناء كما نُلهم نحن النَّفْس؛ قال في حقه سبحانه: "لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، وعلّمنا يقف دون السباحة في صفة واحدة، فكيف ببقية أسمائه وصفاته؟! وكيف بالأسماء التي استأثر بها رب العزة في علم الغيب.. فلا يعرف الله سبحانه وتعالى حق المعرفة إلا الله جل وعلا.. ومع ذلك إذا استشعر القلب تعظيم مولاه ومحبهته؛ تكشّفت له من المعرفة بربه آفاق رحبة، وأسرار عليا تُنطق اللسان بالأعاجيب.

بروي سعيد الأزرق الباهلي أنه سمع امرأةً في الطواف تناجي ربه وتقول: "يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا يصفه الواصفون، يا

عالمًا بمناقيل الجبال ومكاييل البحار، وعددٍ قطر الامطار وورق الاشجار، وعددٍ ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار، يا مَنْ لا توارى منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحرٌ ما في قعره.. أسألك أن تجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء، من دار الفناء إلى دار البقاء، التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتُهين فيها من أبغضت من أعدائك، أسألك إلهي عافيةً جامعةً لخير الدنيا والآخرة، مَنَّا منك عليّ وتطوُّلاً يا ذا الجلال والإكرام..

وبعد..

فربما يشعر العبد ببرد اليقين ونسمات الإيمان إذا نظر في الكون أو في حاله من نافذة القرآن الكريم، أو ترُدّه تقلبات الحياة وعلوم الكون إلى الأوسى بره وكتابه.. ومع ذلك تبقى أسماء الله الحسنى وصفاته العليا أبواب المعرفة والقرب والمحبة..

ن ذكرها بركة، وتدبُّرها من الإيمان، ودعاء الله بها حياة للقلب..

<https://ikhwanonline.com/article/239905>